

١ حمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة وله حكم وإليه ترجعون. سبحانه .. سبحانه، أرسل رسوله وأنبياءه مبشرين ومنذرين، وآتاهم من عنده ما به صلاح الخلق في الدنيا وسعادتهم يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسولُهُ، وصفِيه من خلقه وخليئُهُ، ربَّاه الله عز وجل على عينه، وأدبه بأدب أنبيائه ورسله حتى كان خيرهم وإمامهم، قال صلى الله عليه وسلّم: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).^١

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم، والشرع الحكيم، والمنهج الكريم، والقرآن وهو الذكر الحكيم، وصاحب الشفاعة العظمى للملأ الأعلى والأدنى وجميع الخلق يوم الدين. صلِّ اللهم وسلم وبارك على هذا النبي الأمي، سيدنا محمد وآله الذين اتبعوا هُداة، وأصحابه الذين أعانوه على إبلاغ رسالات الله، واجعلنا منهم أجمعين، ومعهم يوم الدين، يا رب العالمين ... يا الله.

أيها الأحبة جماعة المؤمنين: وضع الله عز وجل الأساس الحكيم الذي به يكون كل مجتمع عمل بتشريعه عز وجل مجتمعاً سعيداً وسليماً، وبدأ بذلك على يد أنبيائه ورسله، ليكونوا المثال والنموذج الذي يحتذيه خلقه، وقال لنا - ونحن أمة ختام الأنبياء وخير الأمم كما أنبأ كتاب السماء: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٢١ الأحزاب).

ونحن ننظر في هذا الوقت على قدر ما يسمح به الوقت لخلق من أخلاق النبي، ودرس عملي طبعه فيه حضرة النبي، لئلا نرى أن في هذا الخلق صلاح كل أحوالنا، ونجاح كل مقاصدنا، وتحقيق كل آمالنا - لو اتبعناه إن كان في بيوتنا، أو في مجتمعنا، أو في دولنا أجمعين.

أول خلق وصف الله عز وجل به أنبياءه أجمعين: هو خلق الأمانة، لا بد أن يكون النبي الذي يبلغ عن الله أميناً في كل أحواله، وإلا لم يأتمنه الله عز وجل على إبلاغ شريعة الله، وضرب حبيبتنا صلى الله عليه وسلّم في هجرته المثال الأكرم والأعظم لهذا الخلق النبيل. كان أهل مكة كلهم جميعاً يبارزون بالعداء إلا القلة القليلة التي آمنت به، ويتفننون في إيذائه وفي حربه، ومع ذلك كان أي رجل منهم يريد أن يحفظ أمانة لا يجد مكاناً أميناً إلا عند نبي الله وصفي الله صلى الله عليه وسلّم، فكانوا يستودعون عنده أماناتهم، لأنهم وصفوه حتى قبل الرسالة بأنه: "الصادق الأمين".

ولما بدأت الهجرة إلى المدينة وأمر أصحابه أن يتوجهوا إليها، ما كان من الكفار إلا أن سلبوا من المؤمنين المهاجرين كل ما يمتلكونه، استولوا على دورهم، وأخذوا بالقوة أموالهم، ومنعواهم من أخذ أي شيء ذي بال معهم وهم مهاجرون، وأذن الله عز وجل بيته صلى الله عليه وسلّم بالهجرة. ماذا يفعل!!!

ضرب المثال الأعلى للعالم أجمع من قبل ومن بعد!!!. طلب من ابن عمه علي بن أبي طالب أن يبيت في مكانه، وهو يعلم علم اليقين أن أربعين فارساً مدججين بالسلاح يحاصرون البيت، وكلمة السرّ عندهم بعد منتصف الليل أن يهجموا دفعة واحدة على البيت، ويقتلون النائم في فراش النبي وهم يوقنون أنه حضرة النبي.

^١ أخرجه ابن السمعان في أدب الإملاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أمر علياً أن يبيت في مكانه ويتدثر ويتغطى بغطائه، ولما رأى منه خوفاً ووجلاً قال: (لا تخف، فلن يخلصوا إليك بشيء لا تخافه أبداً). وترك معه كسفاً بأسماء الودائع وأهلها، وأمره أن يبقى في مكة وبعد الهجرة بثلاثة أيام بحيث يتأكد أن الحطة نجحت ونفد النبي من طلب الأقسام، يقوم برد الودائع إلى أهلها، ضارباً المثل الأعلى للمؤمنين والكافرين في أداء الأمانة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لنا وللمسلمين أجمعين: (أد الأمانة لمن إئتمنك، ولا تخن من خانك)^٢.

وعلى هذا النسق سار أنبياء الله ورسله أجمعون. فهذا نبي الله موسى - على سبيل المثال: حدث خلاف بين رجل من قومه من بني إسرائيل وبين رجل مصري، وكانوا يسكنون في مصر، فاستغاثه اليهودي فأراد أن يفرق بينهما، فدفعت المصري بيده دفعاً خفيفاً، ولكن كان قضاء الله وأجل الله قد حلّ فمات الرجل: (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) (١٦ القصص). وعندما علم حكام البلد بما حدث أمروا بإلقاء القبض على موسى للقصاص منه، رغم أنه لم يُرد له شرّاً ولم ينوي قتله أو إيذائه، بل دفعه دفعاً خفيفاً.

فترك مصر وهاجر وعبر سيناء وتجاوز حتى وصل إلى العقبة، وعندها وبعدها بقليل وجد قوماً يلتفون على بئر ماء يسقون أغنامهم وجمالهم، ووجد فتاتين منكسرتين تقفان بعيداً عن البئر ومعهما أغنامهما، فلما سقى القائمون حول البئر أغنامهم، قاموا بسد البئر بحجر كبير لا يستطيع له إلا عشرة من الرجال الأقوياء، فذهب إلى الفتاتين وكان جائعاً وكان عندما جلس ليرى هذا المنظر تضرع إلى الله وقال سائلاً مولاه: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (٢٤ القصص).

يحتاج إلى رغيف خبزٍ ليطفي جوعه الذي اشتد ألمه في بطنه، فسألها: لم لا تسقيان أغنامكما؟، قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء، أي لا نستطيع أن نسقي مع الأقوياء حتى يسقوا أغنامهم ثم يذهبون، (وأبونا شيخٌ كبير) (٢٣ القصص)، لا يستطيع القيام وركبة بالسقي لنا معهم. فقام موسى متطوعاً ورفع الحجر بيده وحده، ثم سقى لهما، وبعد أن سقى لهما تولى إلى الظل لينتظر فضل الله وإكرام الله وعطف الله جلّ وعلا. فذهبت الفتاتان إلى بيتهما وقصّتا على أبيهما ما حدث، فطلب منهما أن تذهب إحداهما لتأتي به ليعطيه الأجر على سقايته لهما، فلما جاءه وأراد أن يعطيه أجر السقاية قال: نحن من قومٍ لا نأخذ أجراً على شيء عملناه لله عزّ وجلّ. وهذه سنة الأنبياء والمرسلين: (مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) (٤٨ سبأ).

وعندما سار ومعه الفتاة وسارت أمامه لتهديه الطريق، هبّت الريح فهففت ثيابها، وكان يحفظ الأمانة - أمانة العين - التي وهبها الله له، فأمرها أن تمشي خلفه وتشير له بحصاةٍ تُلقيها عن يمين أو شمال الطريق، حتى لا ينظر إلى شيء من عورتها أو جسمها، ولذلك عندما رفض أن يأخذ الأجر للسقاية قالت: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) ادفع له الأجرة ليكون راعياً لنا ولأغنامنا ثم بررت طلبها فقالت: (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيَّ الْإِمِينُ) (٢٦ القصص). قال: كيف عرفتي قوته وأمانته؟ قالت: عرفت قوته لأن الحجر الذي يسد البئر لا يرفعه إلا عشرة من الرجال الأشداء وقد رفعه بمفرده، ثم له مرةً أخرى وغطاه بمفرده، وأما الأمانة فإنه لما رأى الريح تُهفّف ثيابي أمرني أن أمشي خلفه حتى لا ينكشف شيء من جسمي فينظر إليه. وهذا دليلٌ على الأمانة التي جمّله بها رب العزة عز وجل.

^٢ أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أمر الله عز وجل المؤمنين أن يكونوا على نسق الأنبياء والمرسلين، فأول خُلُق حرص رب العالمين وحرص على أن يتخلَّق به المؤمنون هو الأمانة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلّم نافعاً للإيمان عن غير الأمانة: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)^٣. كل من ليس عنده أمانة فإيمانه فيه دخن، وإيمانه غير مكتمل، لأن خُلُق الأمانة هو الذي يميّز به يتمايز المؤمنون: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) (٥٨ النساء).

أمرنا أن نؤدِّي الأمانات والأمانات كثيرة وليست يسيرة، وجعل الله عز وجل لمن يخون الأمانة يوم القيامة حديث حضرة النبي الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلّم: (إذا جمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين يُرفع لكل غادرٍ لواءٌ يوم القيامة ويُقال: هذه غدرة فلان بن فلان)^٤. أو كما قال: (أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة).

الخطبة الثانية:

١ مدد الله رب العالمين الذي أكرمنا بالإسلام وجعلنا من عباده المؤمنين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجب من خلقه من كان على خُلُقهِ. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد خير النبيين وإمام المرسلين والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين.

وبعد أيها الأحبة جماعة المؤمنين: إذا سادت الأمانة في أي مجتمع من المجتمعات عمّت فيه الخيرات، ونزلت فيه البركات وكان أهله جميعاً في هناءٍ ومسرّات. وأول الأمانة: أن يولّى أهل الأمانة قيادة المسلمين، وأن يكون كل والي يختار بطانته والعاملين معه من الأمانة من المؤمنين، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (إذا وسّد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة. قالوا: وما وسّد الأمر لغير أهله يا رسول الله؟ قال: إذا تولّى من لا يستطيع بل الأمانة)^٥.

ونوّه النبي صلى الله عليه وسلّم لكل حاكمٍ ولكل إمامٍ في عمله بأن يختار الأمانة في العمل الذي تحت يديه، وقال لهم محدّراً صلوات ربي وتسليماته عليه: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى عليهم غير أهل لها فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)^٦.

أنظر إلي الأمانة من أمة النبي وكيف كان حالهم وحال أمهم من الخلفاء الراشدين بعد عصر النبي: هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث جيوشه إلى بلاد فارس ويفتح الله على جيشه جيش المؤمنين مدينة المدائن عاصمة بلاد فارس، وهي موطن كسرى وموضع قصوره وكنوزه فدخل الجند فاتحين، واستولوا على كل شبيء وجدوه في القصور وفي الكنوز وأتوا به إلى قائدهم، لم يُخبئ واحدٌ منهم حتى إبرةً وجدها فمشت القوافل تحمل هذه الغنائم على الإبل، وكان أولها في المدينة النورة، وآخرها في بلاد فارس، فعندما رأى أصحاب النبي في المدينة هذه الكنوز وما تحويه من غرائب لم يسمعوا عنها من قبل، قال الإمام عمر: (إن قوماً أدّوا هذا لأمانة). فقال الإمام عليّ: (عففت

^٣ روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له).

^٤ البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

^٥ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: {بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: (إذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة. قال كيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)).

^٦ روى إمام عن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله)، وفي رواية: (من قلد رجلاً عملاً على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين).

فَعَفَّت رَعِيَّتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^٧.

وهذا عليُّ المرتضى عندما تولى الخلافة، جاءه أخوه لأبيه وأمه عُقَيْلُ بن أبي طالب، ومعه ولدٌ من أولاده يطمع في عطاءٍ مما تحت يديه من أموال المسلمين، وعندما جلس وكان قد كُفِّ بصره أمر ابنه أن يتنحَّى عنهما، وقال: يا عقيل خذ، قال عقيل: ففرحت وظننتُ أنه سيعطيني صُرَّةً كبيرةً مليئةً بالأموال، وإذا به يضع في يدي حديدة ساخنة، ففزعت وصحت وخرت كما يخور الثور، وقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين؟! قال: عجباً لك، لا تتحمَّل حديدةً يَبْنَاهَا بنار الدنيا، فكيف تتحمَّل سلاسل وأغلالاً أعدها الله في الآخرة لمن خان الله ورسوله وخان المسلمين؟!، ليس لك عندي إلا ما رأيت، اذهب ولا أراك مرةً ثانية^٨.

ما أعدل هؤلاء الذين ربَّاهم أمير الرسل والأنبياء.

المؤمن يا جماعة المؤمنين أعطاه الله أمانات وأمره أن يحافظ عليها، فالعين أمانة لا تنظر بها إلى ما يُغضب الله، والأذن أمانة ينبغي أن لا تسمع بها ما يُسخط حضرة الله، واللسان أمانة ينبغي أن لا تنطق به إلا كلاماً يُرضي الله ويكون لك نوراً يوم لقاء الله، واليد أمانة لا ينبغي لك أن تدفع بها أو تعمل بها إلا في شيء يوافق شرع الله، والرِّجل أمانة والبطن والفرج أمانة، وكل هذه أمانات أمرنا الله عزَّ وجلَّ أن نحافظ عليها: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (٨ المؤمنون).

وأعظم الأمانات التي أعطهاها الله للإنسان أمانة العقل فهي الفارقة بينه وبين إِيوان، فيجب أن يحافظ عليه فلا يغيبه بالمخدرات أو بالمسكرات أو بما شابه ذلك من الأمور المنتشرة، لأنه بذلك ضيَّع الأمانة التي أعلى شأنه بها الله وهي أمانة العقل.

هذه الأمانات خلاف الأمانات التي تكون بيننا وبين بعضنا في المعاملات، فينبغي أن يكون الطبيب أميناً على مرضاه فلا يصنع لهم إلا ما يرى أنه يساعد في علاجهم. وينبغي أن يكون المدرس أميناً على طلابه، وينبغي أن يكون التاجر أميناً على بيعه وشرائه وبضاعته، وينبغي أن يكون الرجل أميناً على نفسه وعلى زوجته وعلى أولاده وعلى جيرانه. إذا قمنا بالأمانات كما ينبغي فإن الله عز وجل سيُصلح أحوالنا، وينزل خيراتٍ وبركاتٍ من السماء علينا ولنا، ويجعلنا في الدنيا سعداء وصالحين، وفي الآخرة فائزين وناجين.

نسأل الله عز وجل أن يُصلح أحوالنا، وأحوال أولادنا وبناتنا، وأحوال أهل مجتمعنا أجمعين، حكماً ومحكومين، ورؤساء ومروسين، وأن يجعلنا جميعاً بشراً عاملين، وبسنة حبيبه صلى الله عليه وسلّم آخذين، وبأخلاق القرآن والنبوة مستمسكين. وأن يستر عوراتنا، وأن يؤمِّن روعاتنا، وأن يرفع عنا كل عناءٍ وكرهٍ وهمٍّ وغمٍّ وبلاءٍ، وأن يجعلنا من عباده الأسخياء الأتقياء الأنقياء.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات، يا أرحم الرايين.

اللهم وفق قادة المسلمين أجمعين لما فيه الخير للمسلمين، وألِّف بين قلوبهم، وانزع الشر من نفوسهم، ولا

^٧ ابن كثير - البداية والنهاية - الجزء السابع، ذكر فتح المدائن.

^٨ ابن أبي عمير: شرح نهج البلاغة.

تجعل بأسهم بينهم شديد، وأطفى ناراً روب المشتعلة في بلدان المسلمين أجمعين.

اللهم أهلك الكافرين بالكافرين، وأوقع الظالمين في الظالمين، وأنتقم من اليهود الغاصبين، وأخرج المسلمين من بينهم سالمين غانمين، يا أرحم الرايين.

عباد الله اتقوا الله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٩٠ النحل).

أذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم وأقم الصلاة.
